الاب

أنستاس ماري الكرملي

عماد النهضة الحديثة

—١—

كان النصف الثاني للقرن التاسع عشر مبعث النهضة الادبية في الشرق العربي بعد أن قطعت العواصف السياسية والاجتماعية علاقته بماضيه الوضاء ومهما يكن من الاسباب التي بعثت هذه النهضة المباركة، فانها من غير شك كانت تقوم في جهات ثلاث : الشام ، ومصر ، والعراق . ويظهر أن الاسبقية انما كانت للشام لتزاحم البعوث والارساليات الامريكية الى هناك فتمكن رجالها من بث انوار البشور المباركة للحركة الادبية والعلمية في هذا الشرق وقد تبعتها مصر منذ انتظمت حياتها الحسية وأسست على قواعد ثابتة تضمن النهضة النجاح والاطراد . وقد نافستهما العراق منار الثقافة الاسلامية العربية في عهد « دار السلام » .

وهنا يجب أن نقرر — إنصافا للحقائق التاريخية — أن هذه النهضة التي كانت في مصر وسورية والعراق كانت تقوم على أعمدة ثلاثة : مدرسة دار العلوم بمصر ، ومدارس الارساليات بالشام . والاب انستاس ماري الكرملي بالعراق .

—٢—

ليس من المبالغة أو التعصبية أن نضع الاب الكرملي في العراق تجاه مدرسة عتيدة بمصر ، وعدة مدارس بسورية ، فاننا اذا فهمنا مقومات هذه النهضة أول الامر علمنا صدق هذه الدعوى . وأننا لم نشتط حين وضعناه في هذه المكانة . فانه حين حاولت البلاد أن تحيا حياة أدبية أواخر القرن الماضي كانت لوثة السجمة شائعة في الالسن العربية ، ولم تكن ترى شخصا يحسن التكلم باللغة الفصيحة ، وكانت اللغة العامية خليطا من لهجات شتى ، بعيدة النسب عن العربية فضلا عن ان النفس الشرقية كانت مقفرة من أية ثقافة إلا الجهل المطبق ، والظلمة الحالكة ، والانحلال الشائن . فكان لابد لكل غيور على هذا الشرق العربي ان ينقذ هذه

الطوائف من جهالتها محاولا تقريبها الى المثل الاعلى لتلك الحضارة الادبية الماضية مراعيا في ذلك آثار الزمان والمكان . ودواعي الفروق بين الحالة الحاضرة أمامه وبين الحالة السالفة أمام العصر العباسي حيث أزهرت الدنيا بآثار العربية وكنوزها الثمينة ... وأي شيء يجب البدء به سوى تقويم الالسنة وتطهيرها من الاخطاء اللفظية والكلمات الاعجمية حتى اذا استقامت واشتد ساعدها كان على المصلح أن ينظر في محاولات أخرى معنوية وموضوعية عله يتم ما بدأ ؟ !

أفليس الناس إذ ذاك اشبه شيء بالطفل الناشيء يجب إصلاح لسانه ثم يتلقى بعد ذلك المعلومات ؟ اريد ان اتصح اكثر من هذا فأقول : كانت النهضة محتاجة إلى تقويم جسمها قبلا حتى يتمكن من حمل ما يلقى فيه من الروح الحديثة التي هي في الحقيقة الغاية أو الوسيلة الرقي العام .

هكذا كانت تعمل دار العلوم بمصر اول نشأتها فكانت معنية بدراسة الادب العربي القديم وتقليد بعض الشيء لفظا وأسلوبا ، وكان المتخرجون فيها يجتهدون في تقويم الناشئين بهذه الاساليب حتى تأسست الدراسة المصرية على نهج قويم ، وقريبا من هذا في شيء من التجديد عمل رجال سورية لاتصالهم اكثر من سواهم بالحضارة الاجنبية فلانت لهم الاساليب وجروا شوطا ليس بالقريب .

أما الاب الكرملي فقد كان ترتيبه الطبعي أسبق من ذينك العاملين : كان فقيها لغويا عليه وحده نعتمد في الاصلاح اللفظي : الافرادي والتركيبي لانه اتيح له مالم يتح لقرينيه ففاز بغير نصيب .

—٣—

نعم اتيح له ما لم يتح لغيره من جميع المشتغلين باللغة العربية في هذا العهد فكان طبيعيا ان يكون عمله أجدى من ناحية ، وان يكون « صاحب الشريعة اللغوية » ان أباح لنا هو هذا التعبير من ناحية ثانية .

من هذه الميزات ولوعه منذ الصغر باللغة وآدابها ، واذا علمت ان اول دراسته كانت في كتب الصرف تبين لك من أول الامر ذلك المذهب الذي سيتخذه هذا الصبي بعد ... بناء اللغة وتكوينها وفهم اسرارها .

ومنها إكبابه الطويل على دراسة اللغة والبحث في مناحيها وجمع الكتب التي تعاونه وتفيده في هذا الباب ، فحصل على أكبر قسط من المعارف اللغوية التي

تجعله يحق حجة وحده ومرجعا للباحثين .

ومنها معرفته عدة لغـات شرقية وغربية مما يفيد في وسائل إثراء اللغة وطرق درسها وانمائها ، ثم الوقوف على فقهها وتاريخ نشأتها منذ عرفها لتاريخ ولا أعرف رجلا غيره تيسر له الوقوف على هذه اللغات الشرقية بهذا الاتقان ثم الانتفاع بها في تحقيق الاصول العربية ، فليس من الغريب اذا ان يكون كعبة الاساتذة والمستشرقين وطلاب التحقيق الفقهي للغة العربية .

ومنها رحلته الى اوربة وبلاد الشرق ووقوفه على مظاهر الحضارة القديمة والحديثة وآثارهما مما جعله اوسع معرفة واجرى بمقتضيات هـذا العصر من تجديد واصطلاح وتواضع على الفاظ خاصة لكل جديد حتى لاترمى اللغة بالفقر والعجز عن مجاراة الحضارة الجديدة .

أبعد هذا يكون من الغريب أن يكون الاب الكرملي محط آمال المجتمعات اللغوية العلمية . وان تتهافت النوادي الشرقية في اوربة والشرق على انضمامه اليها ليكون عنادها الاوحد ومرجعها الذي لا مرد لحكمه ؟! ولم لا تترجم آثاره الى اللغات الاجنبية التي يعنى ذووها بدرس الآثار الشرقية . وفهم هـذه النفس الجبارة التي كانت مثال النبوغ في مظاهرها المتنوعة ، مظهر الدين ومظهر الفلسفة ومظهر اللغة وعلومها ؟ ولم لا يضطهده الاتراك اعداء العرب وهو يعنى باحياء الحضارة العربية وبذيع ما كان لهم من مجد تليد وعلم جم ؟ أليس هذا رجلا في امة وامة في رجل ؟

لا اذكر مؤلفاته وآثاره المطبوعة والمخطوطة الباقية والبائدة ، لا اذكرها فهي شيء ذائع معروف سيحفظها التاريخ في اثباته ، وينتفع بها الناس بعد أن يحصلوا عليها .

انما اذكر « لغة العرب » التي كانت — ولا تزال — صدى الحركة اللغوية في العالم العربي وغير العربي ، عند كل متعلم واستاذ ، ناشيء وشاد ، اذكر « لغة العرب » التي عودتنا النقد النزيه ، الحق ، والتواضع الكريم والاعتراف لكل مجتهد بجهده ، واخيرا كانت خير صلة بين الناطقين بالضاد وخير عامل على حراسة اللغة من عوامل الفناء والجمود والاضطهاد .

ـ٥ـ

فاذا كان من الحق على العالم العربي اليوم أن يكرم عالمنا الفذ ، وأديبنا المضحع بعمره وماله ، فانه يكرم عنصرا قويا لا ندري ماذا كنا نكون لولاه .

نعم ان هذه النهضة الحديثة أخذت الآن تتحول الى ناحية حديثة من الثقافة المعنوية الفلسفية ، ولكنها في حاجة عظيمة الى ذلك الأب البار يرؤمها ويرقبها في سبيلها ، خوف الاضطراب والشذوذ والعثرات التي كثيرا ما تعترضها ، اللهم إنا نحتسب عندك هذا العمر الذي أنفقه وذاك الجهد الذي قاساه ونرجو أن يمد الله عمره حتى يتم ما بدأ ، ويصل بهذه الروح الشرقية الى دور النضج التام .

فباسم مصر ، وباسم الشرق ، وباسم اللغة العربية ، وباسم الآمال التي نعقدها على حياته ... نقدم له أنفسنا مخلصة ، ووفاءنا خالدا ونتقدم الى لجنة الحفل بالمقترحات الآتية لنسعى معنا في تحقيقها :

١ـ أن يعين في الجامعة المصرية استاذ الفقه اللغة العربية .

٢ـ أن تعنى لطبع مؤلفاته ونشرها .

٣ـ أن تحتفظ بخزانته وتسعى في الانتفاع بها .

٤ـ أن يكون هذا التكريم في كل من مصر والشام والعراق وغيرها من الأقطار العربية تكريما عمليا مؤديا للانتفاع الأوفى بآثاره الغراء .

الاسكندرية في ٢ اكتوبر سنة ١٩٢٨ احمد الشايب

من الدجيلي

حضرة سكرتير لجنة تكريم الآب انستاس المحترم

بعد السلام فاني اشكركم على تقديركم اياي بالياقة للاشتراك في الاحتفال الذي ستقيمونه في بغداد في اليوم السادس عشر من شهر ايلول من هذه السنة ومن حيث اني في لندن والشقة بعيدة بيني وبينكم وكثرة النفقات تمنعني من